الفصل الثالث

الحوار مع الذات والحوار مع الآخر

- المبحث الأول : الحوار مع الذات
- المبحث الثاني : الحوار مع الآخر

obeikandl.com

الفصل الثالث

الحوار مع الذات والحوار مع الآخر

خلق الله الإنسان، ووهب له فطرة نقية سوية، وأودعه عقلاً سديداً. وأرسل له الرسل بالبينات والمعجزات، لكن الإنسان هو الإنسان، ظلوم جهول. ولذا، دشَّن الله عز وجل التكاليف الجماعية؛ لحماية المجتمع بأسره، وكي يأخذ الفرد بيد أخيه الفرد، حال فتوره أو معصيته أو ضلاله. ومن ثم، كان تشريع صلاة الجماعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لعامة المسلمين وإرشادهم. وهذه الجماعية من الأهمية بمكان؛ إذ الفرد قد يطغى ويظلم، يجهل ولا يعلم، فكان لابد من هذه الجماعية في المجتمع المسلم. هذه الجماعية قصدها خلاص المجتمع مما يفسده بنفسه، ولن يتم هذا إلا عبر الحوار، والحوار مع الذات.

ولا تعني الجماعية المتقدمة، انتفاء دور الفرد مع نفسه، بل للفرد مع ذاته الداخلية وقفات ووقفات، يرى كم هي على حق؟! وما أمراضها؟! وكيفية علاجها!!

وبناء على عالمية الرسالة المحمدية، وكونها خاتمة الرسالات، كان لا بد من استنقاذ البشر من الظلمات إلى النور، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، من عبادة الآلهة والأصنام، والتي تتعدد عبر العصور والدهور، والظروف والأحوال، واختلاف الأمصار والأمكنة، والتي دعت صاحب الرسالة، رسولنا، ﷺ، وهو على أعتاب الموت، أن يأمر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد. وتبعه في ذلك، صديق الأمة، ولم تتوقف الدعوة قط إلا في أزمنتنا هذه. ولكلٍ تبريره، حتى وصل الإسلام لبني الأحمر والأصفر، وحتى سمع أذان المؤذنً

خمس مرات في النمسا وغيرها من بلاد أوروبا . ثم باتت دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وكأنها نسخت رغم تصاعد المد التبشيري على مستوى العالم، ولهذا كان الحوار مع الآخر .

وعليه، يتم دراسة هذا الفصل في مبحثين كالتالي :

المبحث الأول : الحوار مع الذات .

المبحث الثاني : الحوار مع الآخر .

obeikandl.com

المبحث الأول

الحوار مع الذات

والمقصود بالحوار مع الذات أي الحوار مع النفس الداخلية أو مع أنفس المسلمين عامة.

ولذا، يمكن تقسيم هذا المبحث إلى قسمين على النحو التالي:

- **أولاً: الحوار مع النفس**
- **ثانيًا: الحوار مع أهل الإسلام**

أولاً: الحوار مع النفس

تقدم أن تعريف الحوار في الشرع هو حديث بين شخصين أو أكثر في مجال الشرع، وهذا الحوار تجد فيه من القول والقول الآخر، والكلام، والمحاجّة، والمجادلة. لكن حواراً آخر لا يظهر فيه الكلام أو القول، ويكون داخل شخص واحد، ألا وهو الحوار مع النفس.

وسواء قلنا إن الحوار مع النفس يدخل ضمن الحوار عامة، وإن كان حواراً صامتًا أو أنه ليس منه، فلا مشاحة في الاصطلاح ولا يترتب على التفرقة نوع عمل، لكن ما يهمنا هو أنه يوجد حوار مع النفس الذاتية للإنسان.

والحوار مع النفس هو مراجعة النفس وتقويمها طبقًا لوحي الله عز وجل، ولعلي لا أبالغ إن قلت إنه أصدق حوار. بل، لعل حوارات البشر، لاسيما في هذه الأزمنة، قد غلتبها أمراض الحوار عامة من الرياء والهوى والجدال والكذب وسوء الخلق. بيد أن الحوار مع النفس لا مجال فيه لكل ذلك غالبًا، فهو حوار الصدق، وصدق الحوار، وإن حاول خداع نفوس الغير، فكيف يخدع نفسه ويسوقها إلى التهلكة؟!

وبحكم طبيعة بني البشر، واستفحال المرض فيها، فإن هذه الطائفة، والتي دأبها الكذب، ورايتها الخداع، وشعارها الجدال، وإلهها الهوى، استمرأت الخداع حتى زينته لنفسها، وظنت بما آتاها الله من نعمة أنها ذات الملك والملكوت. وسبحان من حلم على فرعون، حينما قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24)، وسبحان من أمهل قارون حينما قال ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص: 78)، والعجب أن يستمرئ المرء خداع نفسه، لحظة عرضه من قبل من يعلم السر وأخفى، وينفي معصيته، سبحان الله !! ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق: 14)، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (البلد: 7)، ولقد روى الحافظ البزار بسنده عن أنس بن مالك، ﷺ، قال: ضحك رسول الله، ﷺ، ذات يوم أو تبسم، فقال ﷺ: "ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟" قالوا: يارسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال ﷺ: "عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أيْ رب أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال بلى، فيقول، فإني لا أقبل على شاهداً إلا من نفسي، فيقول الله تبارك وتعالى: "أو ليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيردد هذا الكلام مراراً. قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بُعداً لكُنّ وسحقًا، عنكن كنت أجادل". (1)

وتتبدى أهمية الحوار مع النفس في معرفة النفس البشرية ما لها وما عليها، وحظ العمل مع العلم، ونصيب الفعل من القول. وهل الإنسان في تقدم في دينه، فإن لم يكن في زيادة، فهو بلا شك في نقصان، ويرى نفسه في جنب المحرمات. وهل لا زال قائمًا عليها لا يستحي ممن يراه؟ هل لا زالت الغفلة تحكمه والهوى يسيره؟! هل لا زال أسير الشهوة بكل أنواعها؟!! أين هو من أفعال السلف الصالح؟!!

(1) راجع الحديث في تفسير ابن كثير، المرجع السابق، الجزء السابع ص111.

هل لا زال من أسرى العادات والتقاليد والبدع مما لم ينزل بها سلطانًا؟!!

هل لا زال عاكفًا أمام التلفاز والدش والقنوات الفضائية ناظراً إلى المحرمات؟!!

هل لا زال يفني عمره في اللهو واللهب ولا يعرف قراءة الفاتحة كما أنزلها الله على رسوله ﷺ؟!

هل لا زال هائمًا بالفاسقين والفاسقات تاركًا العلم والعلماء؟!!

هل لا زال تاركًا للصلوات والزكاة وسائر الطاعات؟!!

هل زال الكبر يملأ قلبه؟! والغرور يفترش صدره؟!! والعجب رايته، والحسد غايته، والغل سمته؟!!

هل لا زال يقدم الدنيا على الدين، فيفرح بقدوم الدنيا لا الدين، ويحزن بفراق الدنيا لا الدين؟!

هل زال يمني نفسه إنه يحسن صنعًا، وأن الجنة مأواه وأن الله غفور رحيم، رغم استمرار محاربته لربه بالمعاصي؟!!

هل لا زال يتتبع زلات العلماء حتى يضع الفتوى في رقبة عالم، ويظن نفسه ـ زعمًا ـ أنه سالم؟!!

هل لا زال يفرط في أمر دينه، بزعم أن الدين يسر، وترك التشدد، وهل كان رسول الله ﷺ وأصحابه متشددون فلا تقتدون به ﷺ، ولا بأصحابه البررة؟!!

هل لا زلت إمعة تسير وراء الناس كيفما ساروا ولوكانوا في الضلال المبين؟!!

هل لا زلت تمني نفسك أنك لا زلت شابًّا، وأنك والموت كشريطي القطار، فلن تجتمعا بحال؟؟!!

هل، وهل . . . إلخ

إنه الحوار مع الذات، والصدق مع النفس، كيما تلملم نفسها، وتعيد ترتيب أوراقها، ولتعلم أن الأمر جد لا هزل فيه، وأن اليوم عمل لا حساب، وأن غداً حساب ولا عمل، وأن هناك يومًا مقداره خمسون ألف سنة، لا أكل وشرب ولا نوم فيه، تدنو الشمس من الرؤوس بحسب العمل، وأن العبد موقوف بين يدي ربه، يسأله عما قدم وأخر. يسأله عن الصغير والكبير، وعن النقير والقطمير، يسأله عن النظرة، يسأله عن اللفظة، يسأله عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله كيف أتى به وأين أنفقه، يسأله عن فعل الطاعات، يسأله عن اجتناب المحرمات، في يوم يقول الأنبياء فيه سلّم سلّم، في يوم يسأل العلماء سؤال الأنبياء، في يوم يبدأ الله عز وجل الأمر بقوله "لقد أنصتُّ إليكم كثيرًا، فأنصتوا اليوم إليّ" أو كما قال رسول الله ﷺ.

- في يوم يكون فيه الحساب بمثاقيل الذر.
- في يوم يكون فيه الحساب بالحسنات والسيئات.
- في يوم يندم فيه الطائع على عدم الزيادة، وتتقطع فيه العاصي الحسرات على إساءته.

فهل أعددنا للأمر عدته، أم نمشي هباء، وكأن نفسًا لا تدخل الجنة أو تعذب في النيران؟!

لهذا، كان الحوار مع الذات؛ حتى يفيق المرء من غفوته، ويعود إلى صحوته، ويجدد ما فرط، فيكون على الجادة دائمًا، يشخص الداء، ويضع الدواء، وبهذا يكون حوار صلاح وإصلاح، لا حوار فساد وإفساد، وهذا الحوار كان في مقدمة أعمال تجار الحسنات. فتراهم يحاسبون أنفسهم مع وداع كل يوم حساب الملكين اتقاء حساب الملكين: ماذا تبقى لديهم من رأس المال؟! هل زاد؟! أم نقص؟! وإن زاد، فبم زاد؟! بحثًا عن مواطن الزيادة.

ولماذا لا يطرق باقي الأبواب؟!

أهو مستغنٍ عن الزيادة؟!!

وإن نقص، فالتوبة قبل الندم، ويا لها من فرحة!!

توبة تمحو السيئات، وتبدلها حسنات.

سبحان الله، كيف غابوا عن هذه التجارة التي لا تخسر أبدًا؟!

لو عدت، لتبدلت السيئات حسنات.

لو استقمت، لطويت صفحة الماضي.

فالتوبة التوبة، قبل ألا توبة.

ويبحث عن مواطن التفريط، فيحكم الحصار عليها حسابًا وجهادًا مستعينًا بمراقبة الله له، وإطّلاعه عليه، وحسرته يوم تكون الحسرات، معاقبًا نفسه ـ حتى لا ـ تعود بدفع صدقة أو صيام يوم ونحوه، تاركًا مكان السوء، مجتنبًا أصحاب السوء، حتى لا تحرث في الماء. فإن عادت، فعد.. فإن عادت نفسك إلى المعصية بعد طول الجهاد ونوع غفلة، فعد بجيوش من التوبة والمحاسبة والمجاهدة والعقاب لها.

وهكذا جهاد مع النفس لتقويمها وإصلاحها، ومع صدق النية تعظم الثمرة، وإن تصدق الله يصدقك، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

وبين الطاعة والمعصية، بين الصلاح والفساد، خط وهمي يدعمه الشيطان، لكن كيده ضعيف!!

خط وهمي يقويه الهوى، ولكن اتباعه مزلة أقدام، وكم حسرات يوم الحسرات، واجتنابه يسيرٌ على من أراد، والمدد من الله.

خط وهمي تزينه الدنيا، فتذكر آخرتها!! وأنها لو دامت لغيرك ما وصلت إليك!! وأن الكل كما ركب القطار، فالكل نازل في محطته، لكن بماذا ينزل؟!!

خط وهمي تقف من ورائه النفس، فلم لا تجعلها لوامة بدلاً من أن تكون أمارة بالسوء؟! والنفس كالطفل، إن تفطمه ينفطم، وإلا مفتاح الهلاك، فلن تنال كل ما تتمنى، إلا إذا قدره الله لك، وهو خير تقدير، من العليم الخبير. فأرح نفسك وبدنك، فما كان لك سوف يأتيك، وما لغيرك لن يأتيك، ولو فعلت الأفاعيل، وأفضل وضع لك هو ما قدره الله لك. وإذا لم تصل لمعرفة هذا، فحدث عن غليان النفس داخلاً، يعقبه سوء العمل خارجًا. وفي النهاية، ما قدر سيكون، بلا زيادة أو نقصان، ناهيك عن مزيد سخط الله عليك، فأنى لك بكل هذا؟!! ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

إذا علمت هذا، فلا بد لك من سلاحين: أولهما الصبر، فأمراضنا كثيرة ومستفحلة، وتأبى أنفسنا إلا الهوى والدنيا واتباع النفس والشيطان، فبسلاح الصبر، يكون الثبات على الطاعة، لا أن نفعلها يومًا ونتركها دهوراً. وبسلاح الصبر، نرضى بما قدره الله لنا، كيف لا وهو من الله؟!! الذي يعلم السر وأخفى، ويُقدِّر ما يصلحك لا ما تريد أن تفسد به نفسك.

وثاني السلاحين الذكر، فهو المدد الإلهي أمام كل هذه العقبات، فصلاة تريح، وقرآن يثبت، واستغفار ينقي، وذكر يخلِّص، ومع الدوام تجلب لذة الإيمان، التي حرم الناس أنفسهم منها في هذا الزمان، لذة الإيمان، التي تعيش بها مع الله، كما أراد الله، فتترقى في مدارج السالكين، تنسى بها كل شيء، تريد أن تنسى هموم الدنيا وأحزانها، تنسى بلاءها وأتراحها، بل تكون صفيا نقيا يوم القيامة، ولو أصابك في الدنيا ما أصابك، تريد أن ترضي مولاك بأي شكل، ولو بنفسك.

تقف أمام الدنيا كلها تعلن صوت الحق، بقوة إيمان، وصحيح يقين، وثبات في الدين، حتى النفَس الأخير.

تستعذب كل شيء في رضا مولاك، لا تفكر في شيء إلا رضا مولاك، فتفعل كل شيء بنية، عباداتك لله، وعاداتك لله كذلك، وحياتك كلها لله، وبالله، فمنه العون والمدد.

هذا هو الحوار، ونعم الحوار. حوار المخلصين الصادقين، حوار الجادين المجدين، حوار من يبغي الترقي والفلاح، حوار من يريد الجنة بالعمل لا الكسل، بالجهد لا بالأماني، وبالإرادة والإصرار والعزيمة، لا بالخنوع والفتور والهزيمة. وهذا من طرق الوصول لمن رام الوصول، وبه ترى الثمرات تلو الثمرات على النفس والغير، وبغيره تقف النفس على حد وهمي تصنعه، لا تفيد ولا تستفيد، ففاقد الشيء لا يعطيه، وأنَّى للمحروم أن يعطي؟! والمحروم من لذة الإيمان، فذلك هو المحروم، والمحروم فقط.

وكيف يستقيم الظل والعود أعوج؟!!

فبعد صدق الحوار مع النفس، وبيان ما لها، وما عليها، واستقامتها على الحق، يأتي الحوار مع الذات الأخرى. الحوار مع المسلم، حوار النصح، حوار الدعوة، حوار التربية، حوار الثقافة. هذا الحوار عموده الأول حوار النفس، إذ متى تم واكتمل، أثمر على النفس، وعلى الغير. وهذا الأمر لا بد من فقهه جيداً، إذ ما نراه اليوم من عدم تزايد المد الدعوي الإسلامي، على النحو الذي ينبغي أن يكون، لا كنتيجة لرد فعل أو صحوة بعد طول غفلة منبعها من غير المسلم، أو عفواً بلا تخطيط مدروس وتنفيذ مرسوم. بل مرد عدم التزايد هذا إلى فقدان ثمرة حوار الذات. فما نجده على ساحة الإسلام اليوم من دعوة غالبها من جهد جهيد لأفراد قلائل، صدقوا مع أنفسهم في حوارها، فَعَلَت همتهم، واستقامت طريقتهم، وبدأت الثمرات تنتشر هنا وهناك. وهذا خير، لكن هذا الأمر مرده أساسًا لجهد هؤلاء القلائل. ولهذا، تجد من حاول فعلهم، لكنه يسقط في بداية الطريق، أو في نصفه، مع وعورته، وكثرة عقباته، وقوة

أشواكه. ومع ذلك، فإن هؤلاء الجهابذة ينتظرهم الموت ، وها نحن على مدار سنوات قليلة فقد الإسلام كثيراً منهم، وفي وقت من الخطورة بمكان. ولم نر من سد مدهم، وهذه نكبة النكبات. فقدان العلماء الواحد بعد الآخر، وذلكم ما أعنيه أننا لا يوجد لدينا محاضن علمية تربوية تخرج العلماء، وإن خرجت بعض دعاة ووعاظ على عوار. والأمر جلل يستحق تمام العمل، وسرعة التدارك، حتى لا تسير الأمة بغير قوادها، كالأعمى يتخبط يميناً ويساراً. وهذه أمانة الأمانات وقطب الأمر الإسلامي كله. وهي مقدمة على كثير من أفعال الخير، لمن أراد الخير.

وإذا كان حوار الصدق قد أثمر بجهود فرادى العلماء هذه الثمار الموجودة، فكيف تكون ثمرته، لو صدق كل مع نفسه؟!!

إننا بحاجة إلى حوار مع النفس، لا للنفس فقط، ولكن للأمة بأسرها. فصلاح المرء صلاح للأمة، وصدق حواره مع نفسه طريق الصدق في حوار الأمة. وهذه مهمة العلماء والدعاة، بل الكل. وإني لأعجب كثيراً ا من أمر طالما أرقني، إذ تجد كثيراً من الملتزمين قد أكرمهم الله ببناء البيت المسلم، لكنك إذا دخلته وجدته خاوياً على عروشه من نهج المسلم، تجده لا يفترق عن بيوتات الناس العاديين كثيراً. إذ وجد القالب دون القلب، بل لعلك تجد فيه انفصاماً بينه وبين الإسلام. وإذا كان العذر قائماً لدى البعض، حال صغرهم، وتحت ولاية أبيهم، فكانوا لا يستطيعون أن يغيروا من الأمر شيئاً، وإن كان عليهم جهد البلاغ المبين.

فكيف لهؤلاء بعد أن انتقلت الولاية لهم، وأصبحت الأمانة بأيديهم، ترى منهم الوهن والفتور، والضعف والخذلان. ترى الزوجة على غير النمط الذي أراده الله، وكأن الدنيا قد غزت القلوب غزواً. ترى الولد وفيه مسخ مشوه من حقيقة الالتزام الإسلامي، بل تراه هو ذاته وقد نزل وتنازل، وضعف وأضعف،

حتى استقر به المقام للقالب دون القلب، فكيف لجيل هذا منشؤه، وتلك تربيته أن يسود ويقود؟!!

ولو استمر حواره مع نفسه، ما كنت ترى هذا قط، والفرق بين الخطأ والصواب، إرادة وخطوة، بعد عون الله وتوفيقه، فهل من متقدم لها؟!

فهيا إلى حوار النفس، لتنقذ النفس وتعلو الهمة، وننقذ الأمة، ولتُكشف الغمة.

ثانيًا : الحوار مع أهل الإسلام

هو ثاني درجات الحوار، وتالي درجات البناء، بعد الحوار الأول، ألا هو حوار النفس. إذ يأتي بعده الحوار مع الآخر من أهل ديني. والمقصود به ذلك الحوار، الذي تتعانق فيه نفوس المؤمنين بالتخلية والتحلية، والتصفية والتربية، والنصح والتناصح، والنقد والتقويم، والمراجعة والبناء.

وإذا كان لا بد من حوار النفس لصلاحها وإصلاحها، مع وجود أعدائها، فإن الحوار مع المسلم آكد وأوجب؛ إذ يتعلق بمصلحة الإسلام والمسلمين. والأعداء كثر، من الداخل ومن الخارج، وعلى كل لون، وبكل وسيلة، فكان هذا مدعاة للالتقاء والتعاون، وتقويم القائمين على أمر الإسلام، وهل انطلقت بهم خطا الإسلام مسرعة؟! أو كانوا عاراً على الإسلام، وكان بهم وأد الإسلام وأهله؟!!

ولنا هناك استدراكات واستدراكات؛ إذ كما تقدم، أطر الحوار مفككة الأوصال، متهالكة البنيان، بل تجد العداوة والبغضاء، والتنافر والشحناء، وكأننا أعداء، تجد جهوداً مبعثرة، أشتاتًا متفرقة، تكرر في جانب، وتنسى جوانب، لا تكامل بينها ولا تخطيط، ولا علم ولا ترتيب، والكل قد أعلن الإسلام لا غيره. وقد ترى ما لا تراه من عوام المسلمين، ترى العمل بالعاطفة لا بالعلم والتخطيط، تجد ردود أفعال لا أفعال، تجد الدفاع لا الهجوم، تجد

جهوداً طائلة منحصرة في باب، وأموراً تحتاج لأبواب تفتقد إلى من يطرق الباب، تجد غزو بعضها اهتمامًا بلهو ولعب، وطلبة علم المسلمين يعملون لكي يقتاتوا، فمتى يتعلمون ويعلمون؟!! تجد أعمالاً لا أصل لها من كتاب أو سنة، تجد انغلاقًا على الباب، إلا لمن دخل الباب، ولو كان الغير من أهل الإسلام.

وما هذا من الإسلام!!

تجد انحصاراً في سلوك شخص، بين أقواله وأفعاله، دون النبي ﷺ وأقواله وأفعاله.

تجد فقراً في العلم، وندرة في الفقه، وضعفًا في الحديث.

تجد التزامًا بنهج، لطالما لدغت منه، لطالما فقدت فيه الكثير من الرجال والشباب، ومع ذلك لا اعتبار ولا فكر ولا حذر.

تجد أعمالاً لا تقدم ولا تؤخر، بل بها تخسر وتتأخر.

وتجد عند بعضها عاطفة وإحساسًا، ينتشرون في كل مكان، ويا لها من نعمة، لو اكتملت بعلم.

تجد عند بعضها افتقاداً لفقه السياسة الشرعية، والمصالح والأضرار، وتصرفًا بغير حسبان.

الإسلام يخسر يومًا بعد يوم بيد أبنائه، بتعصبهم وتفرقهم، وتنابذهم وتشرذمهم، لا اعتبار لوحي يجمعهم، ولو لواقع يردعهم، والدائرة تدور، وسوف نقول تباعًا "أكلت يوم أكل الثور الأبيض". أحوال تدمي القلوب كلها، ولا اعتبار ولا مجيب. نعم، فتن تجعل الحليم حائراً، ولو ألقى كل منهم نظرة لحال الإسلام لصرفه ذلك إلى العمل معًا من أجل الإسلام، فماذا يقول المرء بعد ذلك؟!

وحي لا يسمع، وقرآن لا ينفذ، وسنة لا تطبق من أناس يجمعهم الوحي ورايتهم القرآن وتربطهم السنة؟!!

ماذا يفعل المرء لكي يتحد أهل الإسلام قاطبة على كلمة سواء؟!!

لا أدري . . أحين يأتي الاستعمار الخارجي، أم متى؟!!

وإذا كان هؤلاء لا يجتمعون، فكيف يجتمع عوامّ المسلمين؟!!

ويا ليتنا في قرون الإسلام الأولى، لكننا في قرون، لم تبق إلا رسوم يسيرة للإسلام، ثم يكبر عليه أربع؟!!

ومع ذلك، فلا مجيب ولا مستجيب؟!!

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. . . .

وهناك أمر آخر، ألا وهو أننا لدينا مشكلة البطالة في العمل الدعوي، إذ لا يحمل هم الدعوة إلا أفراد قلائل خاصة مع استفحال أمراض الأمة.

فلقد أرسل الله عز وجل رسوله، محمداً ﷺ، كيما يذوق الجميع لذة الأمن والإيمان، والخير في الدنيا والآخرة، لاسيما وأنه وحي السماء الأخير إلى الأرض، حتى تقوم الساعة. ومن هذا المنطلق، كان نشر دعوة الإسلام في الأرض من آكد الواجبات على القائمين على أمر الإسلام. ولهذا، امتدت الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا منذ وفاة الرسول ﷺ، وفي العصور الإسلامية كافة، حتى في العصور التي اعتراها شيء من الوهن. كان الكل يضع هذه الأمانة في عنقه، إلى أن ضيعت الخلافة الإسلامية، وتبعثرت دول الإسلام وتفتت، ووهنت وضعفت، بفعل قوى الداخل والخارج. وبدأت الدول الاستعمارية تنفث سمومها في كل موضع، وعبر كل ميدان، فتركت بعد رحيلها مسلمين بلا إسلام. أناسًا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، تاهت بهم السبل بين شهوة وغفلة، فأصبحوا يعرفون من أحوال الفاسقين والفاسقات واللاهين واللاهيات، ما لا يعرفون عن سيدنا محمد ﷺ وصحبه، ويحفظون من أغاني الفاسقين ما لا يحفظونه من قرآن رب العالمين، يضيعون رأس مالهم ـ

عمرهم وأموالهم ـ عاكفين أمام ما يفعله أولئك الفاسقين دون وحي رب العالمين.

إذا أطال الإمام في الصلاة لبضع دقائق تقوم الدنيا ولا تقعد، وأما أن كان هناك فيلم أو مسرحية أو مباراة، فذلك هو الأمر المستطاب.

ترى كلاً منهم مجادلاً عن قوله أو فعله، بغير سلطان ولا هدى ولا كتاب منير.

إذا دعوتهم إلى العلم والتعلم، ترى البعد والتباعد. فإن كانت الدنيا، رأيت القرب والتقارب.

تراهم يعضون على زلات العلماء وهفواتهم بالنواجذ، والله سائلهم عن وحيه، لا ما نهواه، وأمرنا أن نعض عليه بالنواجذ.

غزت الدنيا قلوبهم، وسيطر الهوى على فؤادهم، فترى أحدهم يتكلم بلسان الشيطان، متجنبًا وحي الرحمن!!!

سائرين وراء كل ناعق، ملبين دعوة كل فاسق!!

إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، وإذا ذكر الذين من دونه، إذا هم يستبشرون!!

ما أعظم من يحل لهم الحرام، فذلكم المفكر المستنير العصري. فإن أبى، فهو الجامد ذو العقل المتحجر المتطرف، وهل كان النبي ﷺ كذلك؟! أليس ما يقوله هذا الجامد هو قول الرسول ﷺ؟!!

يتصيدون لخطأ واحد من الملتزمين، وهم على الخطايا قابعين!!!

ترى كلاً منهم يتكلم بلسان المجاهد الأمين، فإن جاء البلاء فهو الخائن بلا نظير!!!

ترى كلاً منهم يقاتل قتال الشرس العنيد إن كانت الدنيا، فإن طلب عُشره في الدين، ولاك ظهره، لابسًا ثوب الأخلاق الدنيا!!

تراه الساخر المتهكم المستعلي على الملتزم، الراكع الساجد المؤله لغير المحترم!!

كل جهاده عن الدين مجرد كلام، فإن طلبت منه العمل، لا تجد منه إلا الكسل!!

الحياة الدنيا عنده لهو ولعب، فإن جاء الموت صراخ وصخب!!

يأتيه البلاء بعد البلاء، ولم تجد منه عن المعصية جلاء!!

فإن ولى الموت أو البلاء، فبعداً لمن يذكره بيوم الفناء!!!

أسيراً للعادات والتقاليد، بريئًا من وحي من بيده المقاليد!!!

ومن هنا، تأتي أهمية الحوار مع المسلمين كلهم. وهنا فارق جدير بالملاحظة، إذ منذ بعث الرسول ﷺ وكل فرد منهم أمة تتحرك في سبيل الله، فأسلم من أسلم. ولم تكن القضية قضية إسلام المرء وكفى، ولا أدائه للشعائر ولا الشرائع، لكنها قضية نور يجب أن يصل إلى من في الظلمات حتى يعم نور الله في الأرض، ويعم الأمن والأمان، والمحبة والوئام، فكان كل من أسلم جيشًا يتحرك وقفًا لله تعالى، يتعلم ويعلم، يعرف ويدعو، يستنقذ الغرقان من موتى القلوب، ويروي العطشان بعد ظمأ الكفر، ويأخذ بيد الغافل إلى سواء السبيل، ويمنح الأمان لمن يريد الإيمان بلا أذى ولا فتنة. فأسلم على يد سيدنا أبي بكر أكثر من نصف العشرة المبشرين بالجنة، وليسأل كل منا نفسه: كم هدى الله به نفسًا؟! وكم دعا المسلمين وغيرهم إلى الإسلام قولاً وفعلاً؟! هل جعل مما وهبه الله وسيلة لنشر الحق وإبطال الباطل؟!

هذا هو الفارق بيننا وبين هؤلاء العظماء.

فنحن نحتاج إلى جيوش الدعوة في الداخل والخارج، تأخذ بيد الحائرين، وترد شبهات الكائدين، وتصبر على لأواء الدعوة وأشواكها. نريد رجالاً يحاورون ويتحاورن في الإسلام وللإسلام، نريد حوار الدعوة. إن الأمة لا

تعتمد إلا على مجهود قلائل، ومنهم من يموت، ومنهم من ينكص على عقبيه مع أول شوك الدعوة. وإن الأمر ليحتاج إلى جهد كثير، وكلٌ حسب وسعه، ونقل صحيح الإسلام دعوة. أما أن ينكفئ كل على نفسه، وكأن النصر سينزل من السماء، ولا جهد ولا مجهود، ولا حوار ولا تحاور، اعتماداً على جهد العلماء والوعاظ، فهذا خلل كبير، ولاسيما أن المطلوب ليس إلا على وسع كل إنسان وعلمه. وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والتسامح، عبر دائرة الحوار، هو وقود الإسلام، الذي يحفظ الإسلام، ويلفظ خبث ما تعلق به زوراً وبهتانًا، ويأخذ بيد الغافل والتائه ويعود بهم إلى حظيرة الحق، ويسد الخلل الذي يحدثه المنافقون وغيرهم في هذه الأمة. ولا بد للعلماء من تذكير الناس بهذا الحوار، فهو من حوار الذات الذي يحافظ على خيرية الأمة، وصدق الله، إذ يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 110).

والحاصل، أن حوار الذات حوار مَن يحمل هَمّ الإسلام، ولننتقل منه إلى حوار أهل الإسلام قاطبة.

obeikandl.com

المبحث الثانى

الحوار مع الغير

هي قضية قضايا الإسلام التي لا تجد من يدافع عنها في زمن الغربة على نهج النبي ﷺ. فمع ندرة العلماء، وقلة الدعاة، واختلاف من يحمل همّ الإسلام، وتكاسل الناس عن أداء دورهم في نشر الإسلام، كانت أهمية الحوار مع الغير. فما وجهه الصحيح؟!!

وبداءةً، الغير المقصود به هنا هو غير المسلم دينًا.

ولقد سبق في الحديث عن مقومات الحوار(□) أنه لا بد ألا يخالف الحوار أصول وثوابت الدين. وتم التعرض بما يسمى بحوار الأديان، وبينت فساد هذا المسمى شرعًا والإطار الذي يجب أن يسير فيه طبقًا للوحي الإلهي، ومناطه هو دعوة غير المسلم للإسلام وأن ما يزعم من الالتقاء حول المحبة والسلام وغيرها لم ولن يحدث من جانب الآخر بدلالة القرآن، والتاريخ خير شاهد على ذلك منذ بعثة النبي ﷺ، وكفى بالواقع حجة لمن أراد الحق، بما لا يغني عن إعادة هذا الأمر ثانيًا.

وهنا نقطة هامة لا بد من إبرازها تتعلق بكثير من الموضوعات وتبرز كثيراً في مجال العلاقات الدولية، وهي أننا مسلمون. يحكمنا قرآن وسنة، فلم ينزل الله وحيه من فوق سبع سماوات حتى تزين به الحجرات أو يُقرأ في المقابر، فذلك من البدعيات. وإنما أنزله نبراسًا للأمة تهتدي به في هذه الدنيا، لاسيما وأنه حوى أصول كل شيء.

وإذا قدر لشرع الله في غير مجال ألا يرى النور في هذه الأزمان، فلا أقل من أن يوضح حكمه ويبين سلطانه عسى أن يؤوب الجميع إليه، فالكل يتكلم بأن

(□) راجع ص 45 وما بعدها

القرآن وسيلة الهداية والإرشاد، لكن عند الواقع نفتقر للرؤية الربانية للمشاكل التي تعجّ بها الأرض؛ إذ تجد الكل ينطلق من رؤية غير شرعية لحل تلك المشاكل، وهذا من الضلال المبين، ونظرة واحدة لحال العالم المعاصر تؤكد ذلك، رغم فساد ما يقدم، وعدم حله لتلك المشاكل، وتجد الكل يتشدق بها وكأنها الوحي الإلهي، فكفى ضياعًا للبشرية بذلك.

وتزداد حيرة المرء من أناس يدشنون الموضوعية في كتاباتهم، لكن يقلل منها اعتمادهم على عقلهم دون التوصيف الأمثل في كل قضية في قرآن ربهم، فلا زالت توجد فئة تحرص على التقاط رأي هنا أو هناك كيما تصف الآخر بسمات قلبت صفحات الواقع، فلم أجد لذلك صدى يذكر، بل وينحى الدين عن القضية، رغم أنهم ينطلقون من معتقداتهم الباطلة ، بل قد زلف اللسان بها، وما تخفي صدورهم أكبر!! فإذا كنتم لا تصدقون قرآن ربكم!! فماذا تنتظرون من الواقع أكثر من هذا؟!! حتى يأتي العدو على فراشكم!!!

إن الأمر جد خطير، وذلك نتيجة البعد عن وحي السماء، ويزداد عجب المرء من استدراج طائفة من علماء الدين وراء هذه الترهات فيتكلمون بلسان الآخر لا بلسان الوحي، وكأنه لم يوضح ذلك أو يفصله، وهذه أمانة عظمى، فلو تبع العلماء غيرهم فيما فيه وحي ربهم، فهذا نذير ضياع البلاد والعباد، ولو تزيّا الكل برداء المصلحين، فما يسع العلماء إلا أن يبينوا منهج الإصلاح الإلهي، ولو كره من كره، حفاظًا على الأمة، والتاريخ المعاصر شاهد بم كان النصر؟ ومن هم رجاله؟ ومن الذين يفتحون صدورهم للشهادة كل يوم دفاعًا عن الأقصى الجريح؟

ومن أي منطلق ينطلقون؟ وفي هذا عبرة لمن أراد الحق.

والموت قادم ، والله أعلم بما في الصدور، وسوف يسألنا الله عن وحيه الذي أنزله، لا ترهاتنا التي نهواها، أو السراب الذي نجري وراءه!!!